(ولا يزال عزف موسيقى الملحن الالماني رشارد غاغنر ممنوعا في اسرائيل) الا ان الكثيرين من الاسرائيليين لم يأنفوا من ادخال الماركات الالمانية في جيوبهم لقاء المقالات او الكتب او البرامج التي ألفوها، والتي لو لم تكن تحمل أسماء يهودية، لما وجدت لها سوقا رائجة هذا الرواج . وكأن اتفاقية التعويضات على ضحايا الحكم النازي يدخل في ضمنها حتى مداراة عواطف الادباء الاسرائيليين الفاشلين !

المان مع العرب: ولكن بالرغم من المناخ السائد في البلاد ، فان للعرب بعض المناصرين ، ولا سيما في صفوف اليسار الجديد ، وبين اولئك الكاتب الدرامي اليهودي الاصل ، بيتر فايس ، مؤلف المسرحية الشهيرة « مارا — ساد » والشاعر اريخ فريد ، الذي كتب رسالة الى مجلة «دير شبيغل» يحتج فيها على اطلاق المجلة لقب «قرصانة الجو» على ليلى خالد ، ويعلن فيها انه بالرغم من يهوديته ، فهو يؤيد جهود الشعب الفلسطيني في سبيل تحرير وطنه ، ولا يستنكر خطفه للطائرات. كما كتب المعلق الماركسي المعروف سباستيان هافنر (الذي كان سابقا مراسل « الاوبزرفر » اللندنية في برلين الغربية) ، مقالات في مجلة « شتيرن » — وهي من كبريات المجلات الاسبوعية المصورة في اوربا ، يهاجم بها اسرائيل .

ولكن هذا لا يعني ان اكثر الادباء اليساريين يقفون الى جانب العرب ، فان أشهر مؤلف الماني معاصر — غونتر غراس — الصديق المقرب للمستشار فيلي برانت منذ كان رئيس بلدية برلين الغربية ، والعضو الفعال في الحزب الاشتراكي الدمقراطي الحاكم ، هو من مؤيدي اسرائيل النشيطين . وقد استنكر انصار اليسار الجديد موقفه هذا ، وفي اجتماع ضمه واياهم بعد حرب حزيران ، تعالت الاصوات تصفه بأنه صهيوني خنزير . ومن الجدير بالذكر ان السفير الاسرائيلي في بون ، آشر بن ناثان ، جوبه بموقف معاد مماثل عندما حاول ان يقوم بجولة محاضرات في الجامعات الالمانية ، فقد ظل الطلاب يصيحون ، فتح .. فتح .. كلما اراد الكلام ، حتى اضطر الى الغاء جولته المقررة . وبعد ذلك بأشهر قليلة ، نقل الى عاصمة اخرى .

وبين الصحف الالمانية التي لا تتهيب من اتخاذ موقف منصف تجاه القضية الفلسطينية ، المجلة اليسارية الشهيرة « كونكريت » ، التي هربت رئيسة تحريرها السابقة من المانيا تطاردها الشرطة بسبب نزوعها منظمة تستهدف تهديم الكيان البورجوازي للبلاد عن طريق القوة . (ويقال انها لجأت الى قطر عربي) ومما يؤسف له ان الجهات العربية الرسمية تتجاهل مؤيدي العرب من بين اليساريين ، بينما هي تهتم باليمينيين الرجعيين ، كالدكتور فراي ، رئيس تحرير صحيفة « ناسيونال تزايتونغ » صاحبة النزعة النازية . فقد دعته دولة عربية لزيارتها قبل اعوام ، كمكافأة على « موقفه الودي » تجاه العرب . ولما انتهت زيارته لذلك القطر ، دعاه قطر عربي اخر لزيارته، فعاد الى المانيا ليدبج المقالات في الثناء على العرب الذين هم أصدقاء بلاده منذ أيام هتلر !

ان ازمة الضمير الالماني لا تزال مستمرة . ولما كانت الشجاعة المعنوية والقدرة على اتخاذ المواقف الجريئة اللامنتمية هي ليست بصورة عامة صفات متأصلة في المواطن الالماني العادي الذي كان عبر التاريخ الحديث جزءا من قطيع خانع تسيره سلسلة من الحكام الاقوياء امثال فريدريك الكبير وبسمارك وهتلر واديناور ، فليس من المتوقع ان يرى الالماني النور على طريق دمشق في المستقبل القريب . الا ان هناك بارقة أمل . ففي خاتمة كتاب كينيث م. ليفان ، وبعد ان يورد المؤلف الدليل تلو الاخر على الانحطاط الاخلاقي الفظيع للصحافة الالمانية فيما يتعلق بحقائق النزاع العربي الصهيوني ، فانه يتساءل عن ماهية الاسباب التي ادت الى التحيز الجائر الفاضح لاوساط الاعلام في بلاده . ثم يرد على تساؤله ملمحا انه بسبيل تأليف كتاب ثان سيخصصه لتحليل وتفسير هذا التحيز بعد ان كان قد اثبت وجوده في كتابه الحالي . معنى ذلك ان الجيل الالماني الفتي المتأثر بتعاليم اليسار الجديد قد بدأ يرفض ان يرى الصحافة الالمانية النازية التي ماتت بموت يوليوس شترايخر ، صديق هتلر، ورئيس تحرير صحيفة حزبه السيئة الصيت ، وهي تنبعث من جديد بعد ان تكون الادوار قد انقلبت واصبح العربي يلعب دور اليهودي البغيض في اعلام المانيا الغربية . والمرجو الان هو ان يشعر الشعب الالماني بعقدة ذنب غير تلك التي غرستها فيه الصهيونية طوال ربع قرن من الزمان ، ويفيق ليواجه حقيقة لن يستطيع التهرب منها ، الا وهي ان العرب لا زالوا حتى اليوم يدفعون فواتير اضطهاده لليهود من اراضيهم ودمائهم وكرامتهم.

ف. م.